حبالٌ مُتناغمة

أويؤول المرء إلى غير ما قدّ َم ؟ ؟ وبما تمسّ َك واعتصم ؟ ؟

كلنا يعلم بأن الفضائل مجموعة من الخِلال ، التي يحبها ا و يرضى عمّ َن تحلّ َى بها ، لاسيما أنها رفيع الأخلاق و أحسنها ، كالكرم والشجاعة والصفح والحلم والأمانة ... وغير ذلك من كريم الصفات والسلوكات ، لهذا بالإمكان قول أن هذه المجموعة في سماتها مُتناغمة ، مُتوحدة مُنسجمة في الخاتمة ، فيجد من يتصف بها ، أن حبالها قوية .. متينة .. طويلة .. ودائمة ، كحبل الصدق مثلاً : وثيق متين يظهر على حبل الخصم المراوغ ، ويثبت دون انقطاع ، بخلاف حبل الكذب ، فهو قصير ، لا تلبث أن تضعف الحجة ، وتنقطع الرغبة ، ولن يكون الكاذب بذلك نداً للصادق ، وهكذا إن المتخلّ ِق بالصدق يصل إلى مبتغاه ، ولو تأخر في ذلك ، لأنك ستسمع من يقول : (إن الصدق قد مات ، فلابد لك من الكذب) وكردّ ٍ بسيط على مثل هذا الادعاء : إن حبل الكذب قصير وواهن .

قد يكون حديث الفضائل والرذائل من الأحاديث التي كثر الأخذ والرد فيها ، ولكن لو تناولتها من جانب الأثر المترتب على الالتزام بها ، أو عدمه - خصوصاً - تأثيرها في الجيل الصاعد ، لوجدت أنها موضوع خطير ، يحتاج إلى مزيد من التأمل والتدبر .

إذا نشأ الفتى - مثلاً - في دار بخيل ، فربما يكبر متمسكاً بحبل البخل ، ولن يراه في هذه الحال مذموماً ، بل سيرى من يجود بماله سفيهاً مبذراً ، بينما لو عاش نفس الفتى في بيئة معاكسة ، فإن النتيجة حتماً ستختلف ، ويتبين عندها أن مبدأ الاقتداء له تأثير بالغ في سلوك النشء الصغير ، ولنا أن نُجري هذا الأثر على بقية الصفات الأخرى .

من هنا صار التمسك بحبال الفضائل مهماً ، فلو فعلنا لنجونا ، نحن ومن يقتاد بنا ، ويمشي على خطانا ، فالفضيلة جُعلت لتسمو بأفعالنا ، وتعلو بعاداتنا ، وتكون حبال ا قد قادتنا - مباشرةً - إلى المصير المحمود ، والمآل المنشود .